موغابي ونكومو : عهد على الحسم في ساحة المعركة

روديسيا
مقبلة على حرب اهلية ؟
جيوش افريقية خاصة تموّلها الرجعية العربية والاحتكارات الدولية

تثير التطورات التي شهدتها الاسابيع القليلة الماضية على الساحة الروديسية، دلالات خطيرة على مستقبل الصراع بين الثورة الوطنية الافريقية لتحرير زيمبابوي ، وبين الحكم العنصري الابيض في البلاد . وتشير هذه الدلالات الى ان ثمة تمهيد للعودة الى الاعتماد الرئيسي على الخيار العسكري ، الذي لا ينحصر فحسب في الاعتماد على القوات المسلحة التابعة لحكم الاقلية البيضاء العنصرية ، لمكافحة الثوار واخضاعهم . بل ان هناك ما يؤشر الى ان ثمة تخطيط لاشعال حرب اهلية يدفع فيها الافارقة الى محاربة بعضهم البعض ، مما يعطي قوة وفرص، مضاعفة ، للقوات العنصرية لان تنشط بفعالية اكثر وتجعل من الممكن فرض حل لمشكلة زيمبابوي يكون ملائما للمصالح الامبريالية ولمصالح المستوطنين البيض العنصريين فيها .

وليست سياسة الارض المحروقة التي يتبعها نظام حكم ايان سميث تجاه المناطق الحدودية لكل من موزامبيق وزامبيا والتي تتصاعد في الفترة الاخيرة ، هي وحدها التي تحمل الدلالات على هذا الاحتمال الخطير ، بل ان ظاهرة بروز «الجيوش الخاصة » الافريقية في داخل روديسيا هي التي تحمل الدلالة الاقوى على ان في نية الاوساط العنصرية والامبريالية اغراق روديسيا في حرب اهلية ، ويراهنون على ما يبدو ، ان تخلق لهم الارضية الملائمة لحرمان شعب زيمبابوي من حقه في تقرير مصيره ، وفرض الحل الذي يبقيها دائرة في فلك النفوذ الامبريالي ، وذلك في ضوء وقوف مساعي التسوية الغربية لروديسيا امام الطريق المسدود .

لقد بدأت تظهر داخل روديسيا منظمات مسلحة جديدة حول كل واحد من الزعماء التقليديين الافارقة الثلاثة الذين وحدوا صفوفهم مع ايان سميث في ما يسمى بالحكومة المختلطة المؤقتة ، التي افرزها اتفاقهم الداخلي . وتنشط هذه « الجيوش الخاصة » الافريقية في الريف وفي تجمعات سكن المواطنين السود ، وتقوم باعمال العصابات المألوفة بحجة استقطاب التأييد للزعيم الذي تدين له المجموعة المسلحة بالولاء . فالنشاط المعلن لهذه الجيوش الخاصة يبدو تجنيداً للمؤيدين لزعمائهم الثلاثة ، ولكنه تجنيد المؤيدين تحت ارهاب السلاح ايضا ، بالاضافة الى ابتزاز المؤن والاموال من السكان .

صحيح ان هذه الجيوش الخاصة صغيرة جدا بالمقارنة مع قوات ثوار الجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي ، اذ انها بمجموعها لا تزيد عن ١٥٠٠ مسلح حتى الان . ولكن بروزها لم يثر خوف السكان البيض فحسب ، بل والافارقة ايضا ، ليس فقط لانهم قد يكونون انوية لجيوش خاصة اكبر ، بل لان واقعة تشكيل هذه الجيوش تحمل في داخلها بذور انفجار الصراع المسلح بين الجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي ، وبين الزعامات الافريقية الثلاث التي اغرتها فتات مائدة العنصريين والتمتع بمظاهر السلطة فعقدت صفقتها المخزية مع ايان سميث، وذلك في ضوء الموقف المعادي الواضح الذي يقفه كل من آلاب موزوريوا والقس سيثولي والزعيم شيراو، من الجبهة الوطنية ، ورفضهم التفاوض على ما يمكن ان يكون بديلا للاتفاق الداخلي الذي عقدوه مع سميث .

« التسامح » المريب

ان حرص هؤلاء الزعماء التقليديين الثلاثة على تشكيل مجموعا تمسلحة من مؤيديهم ، امر يمكن فهمه . ولكن ان تتسامح السلطات العنصرية ازاء ظهور افريقي مسلح داخل البلاد دون آن يكون لديها اية ردة فعل ، فهو الامر المريب الذي يعزز الشك بان ثمة خطة مقصودة لتسليح زمر من مؤيدي اقطاب الاتفاق الداخلي الافارقة واطلاق الحبل على غاربه لهم ، لاستخدامهم في مجالات معينة بفعالية اكثر مما يمكن استخدام قوات النظام العنصري الامنية والمسلحة .

لقد كان طابع اللامبالاة او غض النظر هو الذي يطبع موقف سلطة سميث من بروز ظاهرة «الجيوش الخاصة » . والمعروف ان الافريقي في روديسيا لا يستطيع ان يتسلح بحجر او بعصا دون ان يتعرض لقمع قوات الامن العنصرية ، فكيف به يتسلح ويسرح ويمرح ويستبد بالسكان في الريف من دون استفزاز اي رد فعل من السلطة ؟ وما يعزز الريبة اكثر في حقيقة دور السلطة في سالزبوري في مخطط التمهيد لتفجير حرب اهلية في روديسيا ، ان ايان سميث اعترف في مؤتمر صحفي عقده في الاسبوع الماضي بان « وجود الجيوش الخاصة هو امر مثير للقلق » ، وقال بان الامر هو نتيجة سياسة اتبعها لم تسر على ما يرام او كما كان يؤمل منها ..(!) ـ والاكثر مدعاة الى الريبة ان سميث لم يعد باي اجراء ضد هذه الجيوش الخاصة ، ولم يتوعدها او يتهددها . بل ان حكومته اكتفت بالرد على اسئلة في البرلمان بالتأكيد بانها لا تمول هذه الجيوش الخاصة من اموال الحكومة . هذا بينما بقيت من دون جواب ، الاسئلة حول العلاقة بين هذه الجيوش الخاصة وبين قوات امن السلطة .. بل وصل الامر بالتسامح المريب لحكومة سميث من هذه الظاهرة ، آن مسؤول الدعاية في منظمة الزعيم شيراو الذي لديه فرقة من الحرس لا يزيد عددها عن ٥٠ مسلح ، دعا الحكومة الى التحقيق في دور هذه الجيوش الخاصة .. (!)

ورغم ان السؤال قد بقي من دون رد حكومي رسمي على العلاقة بين هذه الجيوش الخاصة وبين قوات النظام الروديسي ، الا ان الاسئلة التي طرحت حول الجهة او الجهة التي تمولها لم تبق بدون اجوبة . فقد كشفت صحيفه « نيويورك تايمز » الاميركية الوثيقة الاطلاع ان مصادر تمويل الزعماء التقليديين الافارقة الثلاثة تتراوح من « المصالح العربيه المحافظة » ، والتي تمول الزعيم القبلي شيراو ، ومجموعات كنسية وشركات احتكارية متعددة الجنسية ، والتي تمول كل من الاب موزوريوا ، والاسقف سيثولي ..

تكتيك كاسينغا

وهناك علاقة بين ظهور « الجيوش الخاصة » هذه وبين سياسة « الحل العسكري » التي ينتهجها ايان سميث منذ بضعة اشهر بتركيز اكثر من قبل . ويبدو ان المراهنة الامبريالية على هذه الجيوش الخاصة ستنتظر فشل او نجاح سياسة سميث الحالية والتي يعيد بها محاولة الضرب العسكري الشديد لالحاق اكبر قدر من الخسائر الممكنة بثوار زيمبابوي وممارسة اشد الضغوط على موزامبيق وزآمبيا بهدف جر زامبيا وجوشوا نكومو الى القبول باشتراك منظمة « زابو » في الحكومة المختلطة الحالية في سالزبوري والخاضعة عمليا ، لسيطرة البيض .

ويتبع سميث ما بات يسمى بـ « تكتيك كاسينغا الذي اتبعته جنوب افريقيا العنصرية ، وذلك بالظهور بمظهر القبول بخطة السلام الغربية لحل المشكلة الروديسية ، والعمل في الوقت نفسه من اجل ضمان ان يرفض ثوار الجبهة الوطنية هذه الخطة ، وبذلك يظهر للطرف الغربي بان الثوار هم الطرف الذي يرفض التسوية ، ويخفف بالتالي الضغوط عليه من الغرب وتسنح له فرصة انهاء العقوبات الاقتصادية المفروضة ضد روديسيا بقرار من الامم المتحدة » .

فقبل اسبوعين كان سميث وشركاؤه الافارقة الثلاثة في الحكومة المختلطة الانتقالية يقومون بجولة اعلامية ودعائية في الولايات المتحدة ، اختتموها باعلان موافقتهم حضور المؤتمر الموسع لكافة الاطراف المعنية . وجاء ذلك من بعد اشهر من الرفض لهذا الاقتراح الانغلو ـ اميركي . لكن في هذا الوقت كانت الطائرات الروديسية تقوم باكبر غاراتها ضد المخيمات ومعسكرات ثوار زيمبابوي في موزامبيق وزامبيا . وكما كان متوقعا ـ وكما كان يراهن سميث ، فان الجبهة الوطنية عادت فرفضت القبول المؤتمر الموسع ، لان الغارات العسكرية كانت تظهر النوايا الحقيقية لايان سميث ، ولان واشنطن بحجة كسب سميث ، وافقت على عقد المؤتمر بشروط سميث ـ اي من دون شروط مسبقة .

وهذه اللعبة التي يلعبها سميث هي تكرار للمناورة التي قامت بها جنوب افريقيا وفشلت فيها ، ففي شهر ايار الماضي وافقت بريتوريا على خطة الدول الغربية الخمسة باجراء انتخابات في ناميبيا تحت اشراف الامم المتحدة ، وبمنح ناميبيا استقلالها . ولكن قبل ان تعطى منظمة « سوابو » الفرصة للرد بدورها قبولا او رفضا للخطة ، سارعت جنوب افريقيا الى تنفيذ ضربة عسكرية جوية وبرية داخل الاراضي الانغولية ، في كاسينغا التي تعتبر مركز قيادة « سوابو » . وقد قتل نتيجة تلك الغارة الوحشية ما لا يقل عن ٨٠٠ مقاتل ولاجيء ناميبي . وكان متوقعا آن تعلن « سوابو » رفض الخطة الغربية ، وان ينجح تكتيك بريتوريا . ولكن ضغوطا شديدة تعرضت لها قيادة سوابو من دول خط المواجهة الاول ، دفعتها في شهر تموز الماضي ، الى اعلان موافقتها على الخطة . ونجحت سوابو في حمل مجلس الامن الدولي على احداث تعديل في الخطة الغربية كانت سوابو ترغب في احداثه . ونجحت سوابو اخيرا في سحب البساط من تحت ارجل الجنوب افريقيين واضطرتهم الى كشف اوراقهم الحقيقية عندما عادت فتراجعت ورفضت الخطة الغربية وقررت اجراء انتخابات عامة في ناميبيا بمعزل عن الامم المتحدة وبمعزل عن سوابو ...

وسميث الذي يتوهم بانه قد استوعب الدرس من الديبلوماسية الجنوب افريقية ، يحاول تكرار « تكتيك كاسينغا » على امل ان ينجح حيث فشلت بريتوريا . آنه يستغل آلى اقصى الحدود ضعف زامبيا العسكري ، ولا يزال يراهن على جر نكومو بالضغط العسكري عليه من جهة وبالضغط العسكري على زآمبيا لتضغط عليه من جهة اخرى، للعودة الى سالزبوري وعقد صفقة سلام منفردة معه وبالشروط التي يريدها سميث . فايان سميث يريد نكومو بصورة خاصة ، للاشتراك في حكومته المختلطة والخاضعة لسيطرة البيض ، لان ذلك سيشق الثوار ويعزل منظمة « زانو » بزعامة موغابي المعروف بانه الاكثر راديكالية .

ولكن تكتيك سميث قد فشل عمليا منذ ان اثار زعيما الجبهة الوطنية نكومو وموغابي ، في اثر الغارات الروديسية ، الى تصميمها على الحسم في ساحة المعركة وليس على طاولة المفاوضات . وفي ضوء وضع القوات المسلحة الروديسية المتدهور والذي تتحدث عنه تقارير صحفية غربية ، فان لدى ثوار زيمبابوي القدرة ليس فقط على الصمود، بل وعلى الهجوم في داخل روديسيا ، في الوقت الذي تصطدم فيه مساعي التسوية الغربية بالطريق المسدود . فهل بناء « الجيوش الخاصة » الافريقية للزعماء التقليديين الثلاثة وتمويلهم من قبل الرجعية العربية والكنائس الغربية والشركات الاحتكارية الدولية هو استعداد لتلقف الوضع عندما يثبت الفشل الذريع لتكتيك سميث ؟ ان ظاهرة هذه الجيوش الخاصة والموقع السياسي لمصادر تمويلها تشير الى آن ثمة استعدادا لدى الاوساط الامبريالية باشعال حرب اهلية بين الافارقة ، وثمة مراهنة على ان تكون نتائجها عكس نتائج الحرب الاهلية التي اشعلوها في انغولا ، ولكنهم فشلوا في منع انتصار الحركة الشعبية التقدمية ، وتسلمها للسلطة .

● التمييز العنصري في الكنيسة ايضا !

□ رفضت الكنيسة الافريكانية بقرار اتخذ بالاجماع ، توصية تدعو الى توحيدها مع الكنائس الثلاث السوداء في جنوب افريقيا . والكنيسة الافريكانية هي كنيسة الجنوب افريقيين البيض (الافريكانيين) معروفة بعنصريتها ، باجتهاداتها العنصرية ومواقفها التبريرية للتمييز العنصري هناك . ورعيتها تشمل ٩٠ بالمائة من الافريكانيين في جنوب افريقيا . ويصفها المناهضون لسياسة التمييز العنصري بانها عمليا « الحزب القومي » (الحاكم) في حالة صلاة ...!

وكان المجلس الاتحاد ، وهو هيئة استشارية ليست لديها صلاحية اتخاذ القرار ، قد اوصى بانشاء سينودس واحد للكنيسة البيضاء ولشقيقاتها الثلاث السود. وقد جاء رفض الكنيسة الافريكانية للتوصية كاعادة تأكيد لايمان الكنيسة بالتمييز العنصري في الكنيسة والذي تفضل ان تصفه بسياسة « الكنائس المختلفة للشعوب المختلفة » في جنوب افريقيا !

ويعود رفض الوحدة من خلال انشاء السينودس الواحد ، الى ادراك الكنيسة الافريكانية البيضاء بان السينودس الموحد المقترح ستكون له سلطة اتخاذ القرارات الملزمة للكنائس الاربع في حال حصول اي مشروع قرار على اكثرية ثلثي الاصوات ، الامر الذي كان من شأنه اعطاء الكنائس الثلاث التي تمثل الرعية الافريقية والهندية والملونة في جنوب افريقيا ، قدرة على تمرير قراراتها ، كونها تمثل الاكثرية في جنوب افريقيا ، بينما تمثل الكنيسة البيضاء الاقلية البيضاء العنصرية ..